مفاوضات إنهاء الحرب بين الحسابات الأمريكية والإيرانية

يصعب التعويل على تصريحات الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب» من أن الحرب على إيران توشك أن تصل إلى نهايتها، بحكم طبيعة تصريحاته، التي لا يتوقف عن إطلاقها بمعدلات تفوق أي قدرة على المتابعة، فإنها مربكة.

ولكن هذه المرة الحسابات تختلف؛ إذ تتبدى، خلال أيام، فرصة جديدة وملموسة للتوصل إلى تسوية ما، مؤقتة بطبيعتها، على خلفية اتفاق إيراني ــ عماني لتنظيم قواعد المرور في مضيق هرمز.

كان تأخر إعلان هذا الاتفاق، رغم الانتهاء من التوافق على كل بنوده وتفاصيله، تعبيرًا صريحًا عن تداخل اللاعب الأمريكي في اعتماده حتى يكون مدخلًا لتهدئة قابلة للتمدد إلى ما بعد انتخابات التجديد النصفي لمجلسي الكونجرس نوفمبر المقبل.

الاتفاق الآن، حتى لو كان مؤقتًا، يدخل في حسابات الانتخابات الوشيكة خشية خسارتها وتقلص نفوذ البيت الأبيض داخل الكونجرس، لكنه ليس العامل الوحيد.

ومن حيث حقائق الميدان، هناك إخفاق في حسم الحرب، التي أنهكت الاقتصاد العالمي بأزمة طاقة مستحكمة امتدت تأثيراتها السلبية إلى صلب الاقتصاد الأمريكي.

وبحسب ما هو منسوب إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية فإنه لا يرى أي فرصة لحسم الحرب.

«الطيران لن يحسم الحرب» هذه حقيقة. إذا كان التدخل البري مستبعدًا لتكاليفه الباهظة فإن كسب الحرب مهمة مستحيلة تمامًا. هذه حقيقة أخرى.

وقد نشأت أوضاع عسكرية مستجدة في تسريبات متواترة عن نفاذ الذخيرة، أو خشية نفاذها إذا تمددت الحرب، أو اتسعت. «ترامب» نفى بنفسه هذه التسريبات، لكن يبدو أن لها أساسًا يرجح صحتها. بنص تصريح قلق له: «تسريبات نفاد الذخيرة تقوي من سعي إيران لامتلاك سلاح نووي».

بقلم:
عبدالله السناوي ○

أمام كل هذه التعقيدات الملغمة فإن هناك الآن مسارين لحركة الحوادث لا ثالث لهما بأي مدى منظور؛ الأول، التوصل إلى تسوية ما، لوقف النزيف الأمريكي الاستراتيجي والسياسي والاقتصادي قبيل انتخابات الخريف.

هذا يعني رفع الحصار عن موانئ إيران وتخفيض العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها وضخ مليارات الدولارات في خزائنها شبه الخاوية من ودائعها المجمدة بالبنوك الغربية. بتلخيص ما، فإن ذلك هو الثمن الاقتصادي والاستراتيجي لإعادة فتح مضيق هرمز وفق الاستفادة من الاتفاق الإيراني ــ العماني. والثاني، تشديد الضغوط الاقتصادية مع عدم إغلاق باب التفاوض. بصياغة أخرى، البقاء في ذات المربع الحالي بكل جوانبه وتكاليفه وأثاره السلبية على فرص الجمهوريين في الانتخابات الوشيكة.

إنها سياسة الضغوط القصوى، التي لم تفلح في زعزعة الموقف الإيراني على مسارات التفاوض الخلفية. الأزمة الحقيقية تكاد تتلخص في فجوات الثقة الواسعة بين الجانبين، التي تمنع التقدم إلى الأمام، أو التوصل إلى أي تسوية مستدامة.

يلفت النظر هنا في الاتفاقات، التي وقعتها الولايات المتحدة كـ«مذكرة التفاهم» مع الإيرانيين، أو رعتها بالإشراف المباشر كـ«خطة ترامب» للسلام في غزة، و«اتفاقية الإطار» اللبنانية الإسرائيلية، إنها خضعت جميعها لحرب التفسيرات.

تعطلت «مذكرة التفاهم» على خلفية التنصل من التزامات البند الخامس، الخاصة بإعادة فتح مضيق هرمز. وأخفقت «خطة السلام في غزة»، على خلفية التحلل الإسرائيلي من أي التزام بالانسحاب من الأراضي المنصوص عليها في الخطة.

وتعرضت «اتفاقية الإطار» إلى انتهاك شبه كامل لأي استحقاق يفضي إلى الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية المحتلة. وبدا الدور الإسرائيلي ضاغطًا على الجانب الأمريكي للتحلل من «مذكرة التفاهم»، فيما كان مباشرًا في الاستحقاقين الفلسطيني واللبناني.

في الملفات المفتوحة الثلاثة، بدا الرئيس الأمريكي غير قادر على الحسم أمام سؤال حرج يتردد صداه داخل المجتمع الأمريكي: أيهما يقود الآخر.. «ترامب» أم «نتنياهو»؟

السؤال بحمولاته السياسية المتفجرة يصطدم بفرص التوصل إلى تسوية مؤقتة على خلفية الاتفاق الإيراني العماني المنتظر بشأن مضيق هرمز. ولم يكن ذلك المضيق بالغ الأهمية الاستراتيجية في نقل النفط والغاز إلى الأسواق العالمية، من أهداف الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران، لكنه تحول بعدها إلى العقدة الرئيسية في حسابات الحرب والتفاوض.

ومع عدم النجاح الأمريكي في فك عقدة هرمز أخذ «ترامب» يلوح مرة بعد أخرى بأن الإيرانيين سيدفعون ثمنًا باهظًا وسيتم تدمير قدراتهم بالكامل، قبل أن يتراجع عن تهديداته بذريعة أن الإيرانيين ودول أخرى طلبت منه ذلك التراجع لإعطاء فرصة للتفاوض.

وتتبدى أمام فرصة التهدئة المؤقتة على خلفية الاتفاق الإيراني العماني، الأمريكي بالتداخل، عقدتان على جانبي الصراع؛ الأولى، أمريكية بالارتباك الظاهر في مركز صناعة القرار، الذى تغيب عنه أي مؤسسية ويتحكم فيه عدد محدود للغاية من أصدقاء وأصهار الرئيس! والثانية، إيرانية بغياب المرشد «مجتبى خامنئي» عن أي حضور عام، أو دور مؤثر يقتضيه منصبه.

تتعدد التفسيرات لهذا الغياب، لكنه يفضي عمليًا إلى تساؤلات طبيعية ومشروعة: عمن يصنع القرار السياسي بشأن الحرب والتفاوض؟ بتعبير لافت لمسؤول إيراني نشرته قبل فترة وكالة «تسنيم»: «أمريكا لا تريد مواصلة الحرب وإيران تخشى التسوية».

أمريكيًا، فإن الحرب مكلفة وفوق أي طاقة للتحمل.. وإيرانيًا فإن التسوية قد تحرم البلد من ثمار صموده وتضحياته. قد تحدث تسوية مؤقتة مدة شهرين يفتح خلالهما مضيق هرمز بصفقة متبادلة، قد يمتدان شهرين آخرين قبل صدام آخر متوقع بشأن المشروع النووي، وهي الذريعة الأساسية للحرب على إيران.

○ كاتب صحفي مصري.

بمناسبة اليوم الدولي للشباب..

نحو آفاق أرحب لتحقيق طموحات الشباب

اختارت الأمم المتحدة عنوان اليوم الدولي للشباب لهذا العام ليكون سياقات مختلفة، طموحات مشتركة. عنوان يبدو بديهياً في ظاهره، لكنه يحمل اعترافاً مهماً: أن شاباً يعيش في جزيرة نائية محرومة من أبسط مقومات الحياة، وشاباً آخر يعيش في بلد مستقر توفرت له فرص واسعة، يحملان في داخلهما الحلم نفسه. كرامة تُحترم، وفرصة تُتاح، ودور فعلي في القرار يتجاوز الحضور الشكلي.

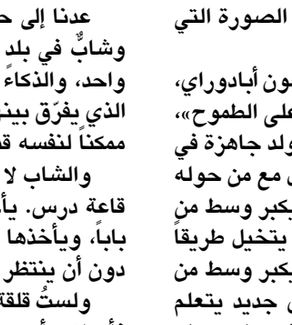

بقلم:
نبيلة رجب ○

في مذكرة الأمم المتحدة لهذا العام عبارة لافتة تصف الشباب بأنهم «أبعد ما يكونون عن متلقّين سلبيين»، وتصفهم بدلاً من ذلك كشركاء أساسيين في بناء عالم أكثر عدلاً واستدامة. تبديل الوصف هنا لا يبدو شكلياً، فمن يُنعت بالمتلقي ينتظر أن يُمنح، ومن يُنعت بالشريك يُطالب أن يشارك، والمطالبة أثقل من الانتظار وأصعب، لكنها الأصدق لما يستحقه الشاب فعلا.

تكشف المذكرة نفسها أن الشباب حول العالم أكثر عرضة للبطالة بمعدل يقارب ثلاثة أضعاف الكبار. هذا الرقم وحده يفنّد فكرة أن غياب الفرصة سببه غياب المسؤولية عند الشاب، فالمسؤولية هنا مزدوجة، على الشاب أن يسعى، وعلى المجتمع من حوله أن يفتح الباب الذي يسعى إليه. مسؤولية بلا باب مفتوح تتحول إلى عبء يُثقل كاهل الشاب وحده، بدل أن تكون دافعاً يشترك فيه المجتمع كله. وهذا الباب، مفتوحاً كان أو مغلقاً، هو أول ما يشكّل عند الشاب صورة الممكن، وهي الصورة التي يقوم عليها أي طموح لاحق.

يذهب عالم الأنثروبولوجيا أرجون أبادوراي، في مفهومه المعروف بـ«القدرة على الطموح»، إلى أن هذه الصورة نفسها لا تولد جاهزة في داخل الإنسان، تتشكل بالتفاعل مع من حوله وبما يراه ممكناً لنفسه. شاب يكبر وسط من يقنعون بما لديهم يصعب عليه أن يتخيل طريقاً غير الطريق الذي رآه، وشاب آخر يكبر وسط من يجربون ويخطئون ويحاولون من جديد يتعلم أن الطموح فعل يومي يُمارَس أكثر مما هو حلم بعيد يُنتظر.

جيلي كبر في زمن كانت فيه الفرص أضيق بكثير مما هي عليه اليوم، ومع ذلك خرج منه من بنى بيده ما لم يكن متاحاً له جاهزاً. وجيل أبنائي يكبر اليوم وسط أدوات لم تكن لنا، لكنه يحمل الطموح نفسه الذي حملناه، بلغة مختلفة وأدوات مختلفة.

وهذه الأدوات نفسها غيّرت شيئاً أبعد من طريقة التعبير. في مناطق مختلفة من العالم، من إفريقيا إلى منطقة الكاريبي والمحيط الهادئ، توثّق الأمم المتحدة كيف يستخدم الشباب اليوم الأدوات الرقمية ليوصلوا تجربتهم المحلية إلى قاعات القرار العالمية نفسها. شاب يعيش في قرية معزولة يستطيع اليوم أن يوصل صوته إلى منصة أممية، وهذا لم يكن متاحاً لجيل سابق. لكن الأثر الأبعد ليس في الصوت الواصل، بل فيمن يراه واصلاً: حين يرى شاباً من مكان يشبه مكانه وقد وصل، تتّسع عنده صورة ما هو ممكن. المشاركة هنا لا تنقل رأياً فحسب، تنقل مثالاً.

وقريباً منّا، اختتمت «إنجاز البحرين» نسختها الثامنة عشرة من مسابقة رواد الأعمال الشباب، بعد أن شارك في برنامجها أكثر من ألف ومائة طالب وطالبة، تأهّل منهم إلى النهائيات نحو مائة وأربعين. فاز «أولاني» من مدرسة سانت كريستوفر بجائزة المشروع المبتكر، وفازت «زاد» من مدرسة الحد الثانوية للبنات بجائزة التأثير العالمي. مدرستان تختلفان في كل شيء تقريباً، والنتيجة واحدة، وهذا بعينه ما يقوله شعار هذا العام: سياقات مختلفة، طموحات مشتركة. ثم يأتي الأثر الأبعد من الجائزة نفسها: كل فتاة في الحد رأت زميلاتها يقفن على المنصة، تعلّمت في يوم واحد أن الطريق سالك. هذا الدرس لا تعطيه دورة تدريبية، تعطيه فتاة تشبهك وصلت قبلك.

عدنا إلى حيث بدأنا: شابٌّ في جزيرة نائية، وشابٌّ في بلد استقرّت أحواله. الحلم عندهما واحد، والذكاء لا يفرّق بينهما، والرغبة كذلك. الذي يفرّق بينهما شيء واحد: ماذا رأى كلٌّ منهما ممكناً لنفسه قبل أن يحاول.

والشاب لا يولد بهذه الرؤية، ولا يتعلّمها في قاعة درس. يأخذها ممّن حوله حين يفتحون له باباً، ويأخذها من نفسه حين يطرق الباب من دون أن ينتظر من يفتحه له.

ولستُ قلقة على هذا الجيل من ضيق الأدوات، فأدواتهم أوسع مما كان بين أيدينا. قلقي أن نبقى نخاطبهم ونحن نحسبهم في انتظارنا، وقد بدأوا من غير إذن منّا.

أن نمنح شاباً فرصة أمرٌ حسن. وأن نجعله يرى نفسه قادراً، هو ما يبقى معه بعد أن تنتهي الفرصة.

○ قانونية وكاتبة بحرينية.
rajabnabeela@gmail.com

زيارة نتنياهو للولايات المتحدة تؤجج الجدل في نيويورك

هل يمكن أن تؤدي الانتقادات الموجعة إلى ممارسات الحكومة الإسرائيلية أو تصرفات رئيس وزرائها إلى تأجيج المواقف المعادية للسامية؟

على الرغم مما يتطلبه هذا الطرح من تكلّف في المنطق، وما قد ينطوي عليه ذلك الخلط الغريب للأمور من مخاطر على اليهود الأمريكيين، فإن بعض المنظمات الأمريكية المؤيدة لإسرائيل تسعى لإثبات أن انتقاد إسرائيل يعرّض اليهود الأمريكيين للخطر.

وقد تبنّى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وجهة النظر هذه؛ إذ وجّه -خلال مقابلة مع شبكة تلفزيونية أمريكية أجراها قبيل مغادرته إسرائيل للقاء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب- الاتهام ذاته إلى عمدة مدينة نيويورك زهران ممداني.

وعلى الرغم من أن التوترات بين عمدة مدينة نيويورك زهران ممداني والمجموعات المؤيدة لإسرائيل كانت تتصاعد منذ حملته الانتخابية لعام 2025، إلا أنها تجددت مؤخراً قبيل الزيارة التي أعلنها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد سأل أحد المراسلين العمدة زهران ممداني عما إذا كان سيفي بتعهده الانتخابي باعتقال رئيس الوزراء الإسرائيلي باعتباره مجرم حرب، وذلك بموجب لائحة الاتهام الصادرة عن المحكمة الجنائية الدولية.

ورداً على ذلك، جمع العمدة ممداني مجموعة من الخبراء القانونيين الذين خلصوا إلى أن المدينة لا تملك -بمفردها- صلاحية إجراء اعتقالات، إذ إن الحكومة الفيدرالية هي الجهة الوحيدة المخولة بذلك.

وفي مسعًى لحسم الأمر، نشر زهران ممداني مقطع فيديو قصيرًا أقر فيه بأنه لا يملك صلاحية إصدار أمر بالاعتقال، لكنه رغم ذلك وصف بنيامين نتنياهو بأنه مجرم حرب مسؤول عن مقتل «أكثر من 73 ألف شخص»، وصرح بأنه لن يرحب به في مدينة نيويورك.

لم يأتِ ممداني في مقطع الفيديو على ذكر إسرائيل، ولا الشعب اليهودي أو مواطني إسرائيل؛ فقد كان الأمر -كما أشار- مقتصرًا ببساطة على جرائم بنيامين نتنياهو المذكورة في مذكرة الاعتقال الصادرة عن المحكمة الجنائية الدولية.

وقد سارعت بعض الجماعات المؤيدة لإسرائيل إلى التنديد بمقطع الفيديو الذي نشره العمدة ممداني وبالاتهامات التي وجهها لرئيس الوزراء الإسرائيلي إذ اتهمته بما اعتبرته «استهداف الدولة اليهودية الوحيدة في العالم مراراً وتكراراً.. ما جعل العديد من سكان نيويورك اليهود يشعرون بأنهم مستهدفون وغير مُرحَّب بهم».

وفي إطار هذه الحملة الموجهة ضد عمدة مدينة نيويوك، وصفت إحدى هذه الجماعات المؤيدة لإسرائيل الفيديو بأنه يمثل «فرية الدم» وينطوي على «أكاذيب شنيعة»، في حين اتهمته جماعة أخرى بـ«تأجيج معاداة السامية».

بعد بضعة أيام، أقدم رجل من أصول إسبانية -قالت الشرطة الأمريكية إنه يعاني من مشاكل في الصحة العقلية- على طعن شخصين، أحدهما من أصل آسيوي والآخر يهودي. وفي كلتا الحالتين، أفاد شهود عيان بأنهم سمعوا المهاجم يصرخ بعبارة «الله أكبر».

سارعت المجموعات المؤيدة لإسرائيل -التي دأبت على الخلط بين إسرائيل واليهود الأمريكيين وتوجيه انتقادات لاذعة ومتواصلة للعمدة ممداني- إلى خضم الجدل، مُحمِّلةً العمدة مسؤولية جعل مدينة نيويورك غير آمنة لليهود بسبب «استخدامه منصبه لشن هجوم شرس على إسرائيل». وفي هذا السياق، دعا أحد القادة اليهود البارزين العمدةَ إلى الاستقالة، متهماً إياه بما وصفه «التقصير في أداء الواجب».

سارع زهران ممداني إلى الرد على هذه الاتهامات، منددا بعمليات الطعن، واصفاً إياها بأنها «هجمات بغيضة ومقيتة لا مكان لها في مدينتنا»، مشيراً إلى أن إدارته قد عززت بشكل كبير الاستثمار في مجال الوقاية من جرائم الكراهية «حتى نتمكن من البدء في معالجة الأسباب الجذرية لهذا التعصب والكراهية، في سعينا لاجتثاث آفة معاداة السامية».

بقلم:
د. جيمس زغبي ○

وأضاف العمدة ممداني: «فيما يتعلق بتعليقاتي حول رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، فهي انتقادات لا تستند إلى تحليلي الشخصي، بل إلى حقائق موضوعية. إنها انتقادات موجهة لزعيم سياسي، وليست لأشخاص ينتمون إلى عقيدة أو دين أو خلفية محددة. وتتمثل مسؤوليتي بصفتي عمدة المدينة في الحفاظ على سلامة كل مواطن في مدينة نيويورك، بغض النظر عن أصولهم أو معتقداتهم، أو حتى -بكل صراحة- بغض النظر عما إذا كانوا يتفقون مع توجهاتي السياسية؛ فمهمتي هي ضمان سلامتهم».

لم يفتقر العمدة ممداني إلى مدافعين عنه داخل المجتمع اليهودي؛ فقد وصف براد لاندر -الذي يعتبر نفسه صهيونيا ليبراليا وكان قد هزم مؤخراً في الانتخابات عضواً في الكونغرس مؤيداً لإسرائيل- تلك الهجمات بأنها «تكاد تكون بلا شك جريمة كراهية معادية للسامية، ومن المرجح جداً أن تكون جريمة كراهية ضد الآسيويين أيضاً، لكنها ليست خطأ العمدة لمجرد وصفه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بأنه مجرم حرب».

وقد أضاف براد لاندر قوله إن «محاولة الربط بين العمدة وبين ذلك.. هي محاولة سياسية لإسكات الانتقادات الموجهة لإسرائيل»، واصفاً الأمر بأنه «استغلال لمعاداة السامية كسلاح».

واجه بيتر بينارت -وهو أحد أبرز المفكرين اليهود التقدميين في أمريكا وأكثرهم رصانة- المؤسسة اليهودية المؤيدة لإسرائيل بشكل مباشر، مشيراً إلى أن هذه المؤسسة -وليس العمدة- هي التي تخلط بين إسرائيل والمجتمع اليهودي.

كتب بيتر بينارت: «يُكرر زهران ممداني القول بأن انتقاده لإسرائيل... لا علاقة له بمشاعره تجاه اليهود في نيويورك؛ لأنه يفصل بين إسرائيل -كدولة- وبين اليهود من سكان نيويورك. أما الأشخاص الذين يخلطون بين الأمرين... فهم ذاتهم قادة المؤسسة اليهودية الذين يهاجمون ممداني الآن».

تكمن المشكلة هنا في جانبين: فمعاداة السامية ظاهرة حقيقية، كما أن الخلط بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل يُعد أمراً خاطئاً وخطراً؛ وسواء صدر هذا الخلط عن مؤيدي إسرائيل الساعين لربط جميع اليهود بها لأغراض سياسية، أو عن الكارهين لليهود الذين يريدون تحميل اليهود -بشكل عام- مسؤولية الجرائم التي ترتكبها تلك الدولة.

في الحالة الأولى، يهدف هذا المسعى -كما يشير براد لاندر في كلامه- إلى إسكات الانتقادات الموجهة لإسرائيل، وذلك عبر الزعم أن الاتهامات الموجهة لتلك الدولة تُعرِّض جميع اليهود للخطر. أما في الحالة الثانية، فإن هذا الخلط يغذي التعصب المسبق لدى البعض من خلال تحميل جميع اليهود مسؤولية الجرائم التي يرتكبها آخرون.

خلاصة القول هي أن زهران ممداني وبراد لاندر وبيتر بينارت على حق، وأن المؤسسة المؤيدة لإسرائيل على خطأ.

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي.

اغتيال المقاومة.. خطيئة لن يغفرها التاريخ

تمثل المقاومة، بمفهومها الواسع، حجر الزاوية في تغيير الواقع وإعادة بنائه وتشكيله ومواجهة التحديات التي تهدد الإنسان والأوطان، فهي ليست مجرد رد فعل على الظلم، بل فعلا إنسانيا واعيا يعكس إرادة الشعوب في الدفاع عن وجودها وكرامتها وصناعة مستقبلها، ومن خلال كل فعل مقاوم تتجدد قيم الأمل، ويتعمق الإيمان بجدوى الحياة، وبقدرة الإنسان على الانتصار للحق مهما بلغت التضحيات.

بقلم:
د. طارق عباس ○

وفي هذا السياق، يقول الأديب الفلسطيني غسان كنفاني: «المقاومة ليست فعلاً عشوائياً أو مجرد رد فعل، بل هي إرادة حرة تصنع الرفض لكل ما هو سلبي»، كما يؤكد المفكر فرانز فانون أن المقاومة «تستعيد للشعوب المضطهدة إنسانيتها، وتمكّنها من صناعة مصيرها في مواجهة الطغيان المنهجي». تعكس هاتان الرؤيتان حقيقة أن المقاومة ليست فعلاً آنياً، وإنما مشروع تحرر بناء يستهدف استعادة الإنسان لحقوقه وكرامته.

للمقاومة صور متعددة تتكامل فيما بينها، فقد تكون مقاومة فكرية وعلمية تسعى إلى مواجهة الجهل والتطرف، وتصحيح المفاهيم، وترسيخ ثقافة الوعي والنقد البنّاء، وقد تكون مقاومة دينية وأخلاقية تحافظ على منظومة القيم والمبادئ، وتدعو إلى الوسطية والعدل واحترام الإنسان، كما تتجلى في صورتها الثقافية من خلال حماية الهوية الوطنية، وصون اللغة والتراث، والتصدي لمحاولات الطمس والتغريب ومحو الذاكرة الجمعية.

أما في المجال الاجتماعي، فتتمثل المقاومة في ترسيخ مبادئ العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، ومحاربة الفساد والتمييز، وتقديم الكفاءة والخبرة على المحسوبية، وتعزيز قيم التضامن والمسؤولية المجتمعية. فالمجتمع الذي يقاوم الظلم الداخلي يصبح أكثر قدرة على مواجهة التحديات الخارجية، وأكثر تماسكاً في الدفاع عن مصالحه وحقوقه.

ومع تعدد صور المقاومة، تظل مقاومة الاحتلال الصورة الأكثر حساسية وأهمية، لأنها ترتبط مباشرة بحماية الوجود الوطني والإنساني، لأن الاحتلال اعتداء على سيادة الوطن، وانتهاك لحقوق الإنسان الأساسية، ومحاولة لفرض الهيمنة بالقوة. ومن ثم فإن مقاومته تمثل ممارسة مشروعة للحق في تقرير المصير، والدفاع عن الأرض والكرامة والحرية، وهي الأساس الذي تُبنى عليه نهضة الأمم واستقلالها.

لهذا، فإن قضية مقاومة الاحتلال لا تقتصر على بعدها الوطني، بل تمتد إلى بعدها الإنساني والأخلاقي، باعتبارها تعبيراً عن حق الشعوب في الحرية والاستقلال، وفي حماية مواردها، وصون كرامة أبنائها، وضمان حقهم في حياة آمنة وكريمة.

من هذا المنطلق، فإن أي محاولة لتجريم المقاومة المشروعة أو تقويضها تمثل انحرافاً أخلاقياً وفكرياً، لأنها تنال من أحد أقدس حقوق الإنسان، وهو حقه في الدفاع عن وطنه ووجوده عندما يتعرض للعدوان، وفق ما تقره القوانين الدولية.

لقد أقر القانون الدولي، في مقدمته ميثاق الأمم المتحدة والعديد من القرارات الدولية، حق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال في السعي إلى تقرير مصيرها والتحرر من الهيمنة الأجنبية، وهو ما جعل مقاومة الاحتلال حقاً معترفاً به في الضمير الإنساني قبل أن يكون مبدأ قانونياً. ومن ثم فإن حماية هذا الحق لا تمثل دفاعاً عن شعب بعينه، وإنما دفاعاً عن منظومة العدالة الإنسانية ذاتها.

إن التاريخ يعلمنا أن الأمم التي حافظت على إرادة المقاومة استطاعت أن تستعيد حريتها وتصنع مستقبلها، بينما دفعت الشعوب التي استسلمت للاحتلال أثماناً باهظة في حاضرها ومستقبل أجيالها، لذلك فإن اغتيال المقاومة، أو السعي إلى تشويهها وتجريدها من مشروعيتها، لا يمثل اعتداءً على حق سياسي فحسب، بل هو اعتداء على قيم الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، وخطيئة لن يغفرها التاريخ.

○ أكاديمي وباحث لغوي.